

معالم القيم الإنسانية في التجربة الإصلاحية للإمام عبد الحميد بن باديس 1931-1940.

Milestones of human values in the reform experience Abdel Hamid Ben Badis 1931-1940.

سمير أبيض (*)

جامعة محمد الصديق بن يحيى، (جيجل)، Samir.oubbiche@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 26/04/2021 تاريخ القبول: 28/09/2022 تاريخ النشر: 19/03/2023

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على معالم القيم الإنسانية المتبلورة في فكر الإمام عبد الحميد ابن باديس وتجربته الإصلاحية الرائدة في تاريخ الجزائر المعاصر، وكيفية تمثل هذه القيم فكرا وممارسة، ومحاولة الاسترشاد بها كنموذج قيمى فريد في توجيه المجتمع الجزائري المعاصر، خاصة في ظل التحولات الاجتماعية العميقة التي بات يشهدها المجتمع خلال السنوات الأخيرة. وهي الدراسة التي كشفت عن ثراء وغناء التجربة ونجاحاتها لتقديم البديل الناجع، خاصة مع الآثار والانعكاسات التي تركتها على واقع المجتمع الجزائري خلال محنة الاستعمار الفرنسي.

الملخص

الكلمات الدالة: الإمام ابن باديس؛ القيم الإنسانية؛ المجتمع الجزائري؛ الفكر العربي؛ جمعية العلماء.

Abstract:

This study aims to identify the features of human values crystallized in the thought of Imam Abdel Hamid Ibn Badis and his pioneering reform experience in the contemporary history of Algeria, and how these values represent thought and practice, and an attempt to be guided by them as a unique value model in guiding contemporary Algerian society, especially in light of the profound social transformations. Which has been witnessed by society in recent years. It is the study that revealed the richness and richness of the experience and its efficacy to provide a viable alternative, especially with the effects and implications it left on the reality of Algerian society during the ordeal of the French colonialism.

Keywords: Imam Ibn Badis ; human values; Algerian society; Arab thought.

1. مقدمة:

* المؤلف المرسل .

تواجه منظومة القيم الإنسانية اليوم واحدة من أحلك الفترات التي تمر بها منذ أن عرفها الإنسان كموجه أساسي للثقافة وبناء المجتمع والشخصيات الوطنية، وذلك بفعل التغيرات الكبيرة التي يعرفها العالم في شتى المجالات المعرفية والاقتصادية وخاصة الإعلامية والتكنولوجية منها، والتي انعكست سلبا في غالب الأحيان على بنية هذه القيم وأثرت فيها، حيث حلت مكان القيم التقليدية التي كانت تعرفها المجتمعات الإنسانية قيما بمفاهيم جديدة كالسيطرة والاستيعاب والاستغلال والأنانية وأصبح التوجس من الآخر السمة البارزة التي تطبع هذا العصر من خلال ثقافات تسعى لفرض قيمها وتعميمها على الآخرين في مقابل ثقافات أخرى تسعى جاهدة إلى إثبات وجودها أمام هذه المسعى العولمي.

إن هذا الواقع المشحون بمختلف هذه الصراعات التي باتت تهدد المبدأ الأساسي لوجود الإنسان على ظهر هذه الأرض كما بيّنه القرآن الكريم بقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) بات يحتم علينا إيجاد بدائل أو نماذج من شأنها العمل على إرشاد هذا المجتمع وتوجيهه إلى ما يجنبه الوقوع في مزالق هذه الصراعات وانعكاساته التي مسّت مختلف الشعوب والمجتمعات ولم تستثني صغيرا ولا كبيرا، ولعلّ المجتمع الجزائري المعاصر من بين المجتمعات التي لحقها تأثير التغيير القيمي بفعل عوامل متعددة أبرزها تأثير وسائل الإعلام والتواصل الحديثة والمنتجات الاستهلاكية للثقافة الغربية والانفتاح على السوق العالمية ووفود التيارات والمذاهب الفكرية.

ولعله من بين أكثر النماذج الناصعة التي عرفها المجتمع الجزائري ولا زالت شاهدة على عبقرية الخالدة هي تلك التجربة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد عبد الحميد بن باديس والتي يمكن أن تمثل رافدا معينا على التوجيه القيمي للمجتمع الجزائري المعاصر، وإن كانت تجربة جزائرية خالصة إلا أنّها استطاعت أن تنقل لنا صورا ناصعة على مدى العمق الإنساني التي كانت تحملها، وكيف أنّها استطاعت أن تنشأ أتباعها على قيم التسامح واحتمال الاختلاف وأدب الحوار مع المخالف والتعايش بسلام مع الشعوب الأخرى ومختلف القيم الإنسانية.

ولقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نبرز أهم معالم القيم الإنسانية التي تحملها تجربة الإمام عبد الحميد بن باديس ويمكن أن تكون موجّها ومرشدا لأفراد المجتمع الجزائري

2. تبلور الفكر الإنساني عند الإمام ابن باديس:

إن الفكر الإنساني العميق الذي كان يتميز به ابن باديس، في عصر كان يخيم على أجواءه مظاهر الاستعمار والطغيان والعبودية وكافة أشكال القهر الإنساني والحرمان من أبسط حقوق الحياة بفعل النزعات الاستعمارية التي جاء بها الاستعمار الأوروبي، ما كان له أن يكون في ظل هذه الأجواء المشحونة لولا وجود عوامل جوهرية ساهمت في بناء فكر الرجل بعيدا عن جميع تأثيرات مظاهر العصر، وهي العوامل التي سنتناول أهمها وأكثرها تأثيرا:

1.2 عوامل تتعلق بالتربية والتنشئة الأسرية التي تعرّض لها ابن باديس: حيث كان للبيئة العائلية التي عاش فيها ابن باديس تأثيرا أساسيا في فكره الأخلاقي بالتربية والتعليم والرعاية⁽¹⁾، وهو التأثير الذي أوضحه في مناسبة الاحتفال بختم تفسير القرآن الذي نظّمه أصحابه وتلاميذه، بقوله: (إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة ووجّهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقا أتبعها ومشربا أردّه وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماي من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة، فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر)⁽²⁾.

إن هذه الإعانة والكفالة والمكانة الاجتماعية لأسرة ابن باديس جعلته يتحرر من الحاجة للتوظيف لدى السلطة الفرنسية⁽³⁾، وهو الأمر الذي كان بالإمكان أن يجعله تحت القيود والضغوط الفرنسية التي يمكن أن تكون حائلا بينه وبين حرية التعبير في مواقفه وآرائه.

2.2 عوامل تتعلق بمسيرته العلمية وتأثير مدرسيه في شخصيته: حيث يرجع الكثير من الباحثين الفضل لأفكار ابن باديس وبشكل مباشر لأولئك الأساتذة الأوائل الذين تلقى العلم على أيديهم وغالبا ما يذكر في كتاباته مشيدا بأفضالهم العلمية والإصلاحية له⁽⁴⁾، ومن هؤلاء الأساتذة بالأخص الأستاذ حمدان لونيبي أحد أكثر المؤثرين في شخصيته والشيخ النخعي الذي قال: عنهما ابن باديس (بأنه كان لهما الأثر البالغ في تربيتي وفي حياتي العلمية وهما من مشايخي اللذان تجاوزا بي حد التعليم المعهود من أمثالهما مع أمثالي إلى التربية والتثقيف والأخذ

بيدي إلى الغايات المثلى في الحياة⁽⁵⁾، وتأثر أيضا بالعلامة بشير صفر الذي كتب عنه في ذكرى وفاته قائلا: (وأنا شخصا أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر)⁽⁶⁾

ويضاف إلى التأثير الذي كان يمارسه الشيوخ على تبلور الفكر الإنساني عند ابن باديس، ظهور مؤثرات جديدة على العصر الذي كان يعيشه، أبرزها ظهور الأحزاب السياسية في أوروبا وانتقال صداها إلى الجزائر عبر المعمرين وقدماء الحرب من الجزائريين وما كانت تدعوا به هذه الأحزاب من أفكار للعدل والمساواة والحرية وحقوق الإنسان، فضلا على وصول تأثير الحركات الإصلاحية من المشرق وما كانت تبشّر به من قيم لنهوض الشعوب والمطالبة بالحقوق، وهو التأثير الذي ساهم فيه وصول المجلات والجرائد التي كانت تنشر أفكار هذه الحركات كالمنار المصرية واللواء والمؤيد والعروة الوثقى.

3.2 عامل التكوين الديني: ويمثل هذا العامل الأكثر تأثيرا وحسما في تبلور وتشكيل الفكر الإنساني للإمام، حيث أن التأثر بمقاصد القرآن الكريم وبمضمونه الذي يشمل الحياة الدنيا والآخرة وعلاقة النفس بالجسد والفرد بالمجتمع والكشف عن الحقائق المجهولة⁽⁷⁾، وسيرة الرسول ﷺ التي كانت في رأي ابن باديس تهتم في البداية بالدعوة الإسلامية للمقربين ثم بالإنسانية جميعا في كافة أنحاء العالم⁽⁸⁾، وكذلك سلوك وآثار السلف من الصحابة والتابعين في صمودهم أمام الاضطهاد واتصافهم بالنزوع الأخلاقي.

إن ابن باديس كان ينطلق في تصوره للقيم الإنسانية من فهمه للإسلام والقرآن ويعتقد أن هذه القيم قبل أن تكون قيما مدنية أو نتاجا لحضارة ما فإنها قيم الإسلام وعن ذلك كتب في ذكرى المولد النبوي (فمن الإسلام الذي جاء به صاحب هذه الذكرى عرفت الإنسانية وذاقت حرية العقول والرقاب ومنه عرفت وذاقت العدل على أتم معناه ومنه عرفت وذاقت المساواة بين العباد فيما هم متساوون فيه وبهذه الأصول العظيمة أمكن اشتراك أمم كثيرة تحت راية الإسلام في خدمة العلم والمدنية حتى أزهرت رياضهما وسمت صروحهما في الشرق والغرب

واغترفت من معينهما أبناء الإنسانية جمعاء⁽⁹⁾، إن هذا التصور الذي يمنحه الإسلام للإنسانية جعلت ابن باديس يكتب بأنه (لو تربت الإنسانية المعذبة على المبادئ الإسلامية السامية لكانت الكرة الأرضية كلها وطنا واحدا؟)⁽¹⁰⁾، وجعلت منه الدافع الأول في حركة ونشاط ابن باديس إذ يقول عن ذلك (ما كنت في جميع مجالسي إلا مرشدا دينيا أنشر التوحيد والفضيلة والعدل والإحسان وأدعو إلى العمل والنظام واحترام القانون وحسن الجوار)⁽¹¹⁾، فهذه القيم الإنسانية والدعوة إليها كان يراها ابن باديس واجبات دينية.

3. مفهوم الإنسان عند ابن باديس:

يبحث ابن باديس في تعريفه للإنسان إلى المكونات الأساسية التي تشكل كينونته على أرض الواقع، فالإنسان في نظره كل متكامل فهو فكر وغريزة وعقيدة وعمل، يقول ابن باديس: إن الإنسان إنما هو إنسان بفكره وغرائزه وعقائده وأعماله المودعة، هذه كلها في جزئه المحسوس الفاني وهو الجسد وجزئه المعقول الباقي وهو الروح وبهذه الأصول الأربعة ينهض الإنسان أو يسقط⁽¹²⁾.

إن هذه المكونات الأساسية للإنسان هي التي تمنحه صفة الإنسانية وتجعل منه كائنا يختلف عن باقي الكائنات كما يقرر ابن باديس ذلك، وهو ما يتطلب ضمائما وتوفرها في بني الإنسان وإلا فقد صفة الإنسانية، وهي الصفات أو القيم التي يفصلها ابن باديس في حق الحياة وحرية العيش وحرية المعتقد والاختلاف وغيرها من القيم التي تعبر عن هذه الصفات، التي يرى ابن باديس أنه لا يمكن الحديث دونها عن الإنسانية.

4. القيم الإنسانية في تجربة ابن باديس الإصلاحية

ما يميز التجربة الإصلاحية لابن باديس أنها لم تقف في دعوتها لتبني القيم الإنسانية عند حدود الدعوة النظرية أو الفكرية وإنما أعقبتها بتطبيق عملي وواقعي لهذه القيم، وذلك قصد ترسيخها في قلوب أفراد المجتمع، وذلك لسببين أولهما هو انطلاق ابن باديس من العقيدة الإسلامية كفلسفة للتصور وهي العقيدة الذي تربط القول بالعمل والفكرة بالتطبيق، قال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ﴿ سورة العصر، وأما السبب الثاني فهو أنَّ وقع الفعل على قلوب الناس أشدَّ من وقع الكلمات، فهو أراد أن يكون لهم قدوة فيما ينادي به.

1.4 الحرية: وهي أسمى قيمة إنسانية كان ابن باديس يناضل من أجلها ويحرك مشاعر الأفراد نحوها، ومنها حرية الإنسان من عبودية أخيه الإنسان كما حرية الأوطان والشعوب، وقد كان ابن باديس رحمه الله يقول: (الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنفعة والحضارة ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن يزداد تقلبها مع التاريخ) (13)، ومن قيم الحرية حسب ابن باديس:

- الحرية في المعتقد الديني والحرية في التعلم وبذلك أشار بقوله: (إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب من الحكومة ترك الحرية التامة للمسلمين في فتح الكتاباتيب القرآنية والمكاتب العربية الحرة) (14)

- الحرية في التفكير والتعبير: فعندما أقدمت الإدارة الاستعمارية على تعطيل صحف الجمعية كتب ابن باديس (نشرت الجمعية صحيفة السنة فصحيفة الشريعة فصحيفة الصراط فلقيت كلها من الأمة الإقبال والرواج ما لم تلقه صحيفة قبلها وما أحبها المؤمنون حتى أحبها الله، ولكنها لقيت من ناحية إدارية خاصة البغض والتنكيل والاضطهاد فسقطت الصحيفة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة وقرن تعطيل الثالثة بمنع الجمعية من إصدار أي صحيفة منعاً سيبقى لطخة سوداء في جبين حرية القول والتفكير في تاريخ الصحافة في القرن العشرين الذي يسمونه عصر الحرية والتنوير) (15)

وابن باديس على أصله في تصويره للحرية كقيمة إنسانية، إذ ينطلق من أنها قيمة قررها الإسلام لبني الإنسان ولذلك فسّر قوله تعالى: ﴿ وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) ﴾ سورة النمل، بأنه (ليس في الآية ما يفهم خصوص تنف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم ابن عباس رضي الله عنهما كائنة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار، فإن تنف

ريشه يعطل خاصية الطيران فيه، فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض، وذلك نوع من المسخ، وقد علم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا، فلهذا فسروا العذاب الشديد بتفت الريش، والإنسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنسانا - فردا أو جماعة - من العلم فقد حرّمه من خصوصية الإنسانية، وحوله إلى عيشة العجماوات، وذلك نوع من المسخ، فهو عذاب شديد، وأي عذاب شديد؟⁽¹⁶⁾

وكممارسة عملية قام ابن باديس من خلال الجمعية الإصلاحية التي كان يرأسها، والتي لم تكن إلاّ تعبيرا عن أفكاره، القيام بجملة من الأعمال للوصول إلى تحقيق هذا المطلب:

- أنها أوفدت سنة 1936 الشيخين الإبراهيمي والتبسي رحمهما الله إلى باريس للالتقاء بالمسؤولين هناك ومطالبتهم (بفصل الحكومة الجزائرية عن الدين الإسلامي، وحرية التعليم العربي).⁽¹⁷⁾

- مطالبة الحكومة الفرنسية من خلال مؤتمر 1936 الذي شاركت فيه الجمعية برفع يدها على الشعائر الدينية (الإسلامية) للجزائريين، ومنها فريضة الحج التي كانت تضع لها السلطات الفرنسية شروطا مجحفة⁽¹⁸⁾، وفريضة الصوم والأعياد الدينية.⁽¹⁹⁾

- مطالبة النواب الجزائريون لأنهم يمثلون الأمة بمساءلة الحكومة ومطالبتها بفصل الدين الإسلامي عن الدولة كغيره من الديانات.⁽²⁰⁾

- القيام بإعداد تقرير مفصل عن المسائل الدينية الثلاث في الجزائر وهي المساجد والتعليم والقضاء ورفع هذا التقرير إلى الحكومة الفرنسية جاء في أول نقطة منه: فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا بحيث لا تتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا، لا في أصوله ولا في فروعه.

- استغلال المؤتمرات واللجان التي كانت تعقد في الجزائر بالمشاركة فيها والمطالبة من خلالها بمبدأ المطلب، لأن صوت المجموع أقوى من صوت الفرد، ومن بين هذه المؤتمرات نذكر مؤتمر 1936 والجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها الذي طالبت الجمعية من خلالها إلى (إنهاء

تدخل الإدارة في الشؤون الدينية الإسلامية، وقد وُقع البيان عن جمعية العلماء كل من الشيخين العربي التبسي وخير الدين).⁽²¹⁾

قامت الجمعية بتأسيس عدة جمعيات دينية هدفها (المطالبة بأحقية إشراف المسلمين على طقوسهم الدينية وحرية التصرف في كافة المسائل التي لها مساس بالدين).⁽²²⁾

ومن أجل الوصول إلى حرية التعليم والتعلم عمد من خلال مشروعه الإصلاحية المتمثل في جمعية العلماء إلى:

- المطالبة بحرية فتح المدارس العربية وممارسة نشاط التعليم العربي الحر الذي يتيح للأطفال الجزائريين تعلم اللغة العربية التي كانوا محرومين منها داخل التعليم الذي تقدمه المدارس الابتدائية الفرنسية، فعندما أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها القاضي بمنع التعليم العربي قدّم العلماء احتجاجهم بأن (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب من الحكومة ترك الحرية التامة للمسلمين الجزائريين في فتح الكتابات القرآنية والمكاتب العربية الحرة)⁽²³⁾، وأوفدت الشيخين البشير الإبراهيمي والعربي التبسي إلى باريس لمطالبة المسؤولين الفرنسيين هنالك، وقد ذكر الإمام الإبراهيمي بأننا (ذهبنا إلى باريس لخدمة قضيتين [...]) فصل الحكومة الجزائرية عن الدين الإسلامي وحرية التعليم العربي)⁽²⁴⁾

2.4 الحق في الحياة: حيث أن ابن باديس يعتبر أن الحياة والمحافظة عليها من القيم التي تستوجبها إنسانية الإنسان، فهو يعتبر حفظ النفس الإنسانية من الكليات التي وجب الحفاظ عليها، ولذلك وجدناه في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) ﴿⁽²⁵⁾، يذكر بأن الأرواح الإنسانية كريمة الجوهر لأنهما من عالم النور، فقد خلقت من نفخ الملك، هذه النفوس البشرية جاءت الشرائع السماوية كلها بإيجاب حفظها، فكان حفظها أصلا قطعيا، وكلية عامة في الدين، وقرر ابن باديس أن ذلك لا يتحقق إلا بالكف عن العدوان وتحريم قتل النفس وإقرار العدل بين الناس⁽²⁶⁾، وكذلك بالعمل على

رعاية هذه النفس بما يضمن لها السلامة والعافية، ولقد استنبط ابن باديس من قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (51) سورة المؤمنون، أن المحافظة على الأبدان واجبة شرعا، لأن الأعمال التي عدّها ابن باديس من كينونة الإنسان تتوقف على سلامة الأبدان، فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدّم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل، وذلك في استنباط عجيب من الشيخ⁽²⁷⁾، فكان يوصي تلاميذه بما يعينهم على ذلك بقوله لهم: (هاك آدابا تقتضيها إنسانيتك ويفرضها عليك دينك وتستدعيها مصلحتك في هاته الحياة حافظ على صحتك فهي أساس سعادتك وشرط قيامك بالأعمال النافعة لنفسك ولغيرك، تجنب العفوية فإنها مصدر جراثيم الأمراض نظف بدنك، نظف ثوبك، حافظ على أهلك مما تحافظ به على نفسك وسيهرم على نظام صحي حافظ على عقلك حافظ على حياتك، ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك وإذا أردت الحياة لهذه كله فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسب من أسباب الحياة وطرق الحياة وطرق المعاشرة والتعامل)⁽²⁸⁾، وحتى يغرس ابن باديس قيمة الحياة في نفوس الأفراد كان يستشهد لهم بقول الله تعالى ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ سورة المائدة الآية 32، ويعتبر ابن باديس أن الحق في الحياة ليس خاصا بالأفراد فقط فهو يشمل الفرد والمجتمع والوطن، فكما أن للفرد الحق في الحياة فإن للأوطان الحق أيضا في الحياة بامتلاك مقومات التقدم والرفي من وسائل صناعية ومن معرفة متطورة وغيرها، ففي خطاب له بنادي الترقى خلال الاجتماع العام خطب في الحاضرين قائلا: (أيها الإخوان إن جمعيتكم جامعة للناس فيما تفرقوا فيه من دين الله....يدعوونها إلى مجارة السابقين في الحياة وأخذ حظها موفورا من أسباب الحياة لتكون حية بدنيها وحية في دنياها ولتكون سعيدة فيها)⁽²⁹⁾، وهي الدعوة التي كان ينشرها بين جميع أطراف المجتمع، فيكتب مثلا عن ما كان يدعوا به أفراد المجتمع في رحلاته التي كان يجوب بها الوطن بقوله: (ما كنت أدعوهم في مجالسي إلا لتوحيد الله والتفقه في الدين والرجوع إلى الكتاب وسنة رسوله ورفع الأمية والجد في أسباب

الحياة من فلاحه وتجارة وصناعة واعتبار الأخوة الإسلامية فوق كل مذهب وطريقة وجنس وبلد (30)، ليقرر ابن باديس أن الحق في الحياة ليس خاصا بالمسلم أو الجزائري وإنما هو للإنسانية جميعا فيقول: (إننا قوم نريد الحياة لأنفسنا كما نحبها لغيرنا ونكره أن ندخل الضرر على أي كان غيرنا) (31)

3.4 العدل والمساواة: إن قيمة العدل والمساواة بين البشر من بين القيم التي كان لها حضور كبير في تجربة ابن باديس سواء في كتاباته أو في ممارساته، وذلك لأن ابن باديس كان يرى أن كل ما يتعرض له شعبه هو نابع من غياب هذه القيمة الإنسانية عند أولئك الذين يتشدقون بها، ولذلك نجده يكتب (إن الإسلام بقدر ما فيه من رحمة للبشرية ورأفة واحترام لها فهو يمتق الظلم والجبروت والطغيان أشد المقت ويندد بالمتصفين بهذه الصفات من العباد أمرّ تنديد) (32) وفي حديثه للوزير الأول الفرنسي في مؤتمر 1936 (الأمة الجزائرية المتألّمة ليس ألمها ضد جنس ولا ضد دين ولا ضد فرنسا وإنما ألمها ضد الظلم ولهذا لما جاءت الحكومة الشعبية وتوسّعت فيها الحرية والعدالة أعطتها كل ثقتها وأعلنت سرورها بها) (33) ولقد كان ابن باديس ينشد العدل للإنسانية كلها ومن ذلك تنديده بما وقع في ليبيا من طرف الطالليان وجعله يرسل برقية احتجاج إلى جمعية حقوق الإنسان الفرنسية، جاء فيها (إن الأمة الإسلامية الجزائرية لفي أقصى التأثر ممّا لحق إخوانهم الذين ذهبوا ضحايا التوحش الفظيع وهي تريد إن تيسر ذلك أن ترى تدخل جمعيتكم (لاليق) لمصلحة هؤلاء المنكوبين) (34)، ولقد كان يرى أن من موجبات العدل، الحق في الحرية بكل معانيها، حيث كتب يقول: أن الأمة الجزائرية قد قامت لفرنسا بكل ما طلبته منها من نفس ونفيس فمن الحق الواجب على فرنسا ومن العدل الذي لا يقوم أمر أمة إلا به، ومن مقتضى المؤاخاة الحقيقة التي لا تكون إلا عند ما يشعر الإنسان بأنه غير مغموط الحق ولا مهضوم الجانب من صاحبه، أن تعطي فرنسا للجزائريين جميع حقوقهم دون أي تنقيص لهم من غيرهم ولا أدنى تمييز عنهم، وليس لها أن تطالبهم بالانخلاع عن أقل شيء من ميزاتهم في قوميتهم ودينهم ولغتهم (35) نحن ندعو إلى حرية تعليم دين الأمة ولغتها ودينها ندعو

إلى حق وعدل الإنسانية⁽³⁶⁾ إننا نحترم لغتنا ومجدنا كما نحترم لغة ومجد غيرنا ولأننا قوم نحب الخير فلا نخرم منه أحدا⁽³⁷⁾

وإذا أردنا الحديث عن أكثر الممارسات العملية تعبيرا عن المساواة في تجربة ابن باديس الإصلاحية فهي دون أدنى شك مساواته بين الذكر والبنت في الحق من التعليم وهو ما لم يكن مطروحا أبدا قبل ابن باديس، حيث جعل تعليم البنت دون مقابل حتى لا يعتذر الآباء عن تعليم بناتهم بحجة عدم القدرة على القيام بتكاليفهن المادية، فكتب قائلا: (فأما البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم إلا القادرون وأما البنات فيتعلمن كلهن مجانا لتتكون منهن بإذن الله المرأة المسلمة المتعلمة)⁽³⁸⁾، وعندما تبرع أحد المحسنين بدار عظيمة لجمعية العلماء في مدينة المدية في حضرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي، قام الإمام بجعلها مدرسة خاصة بالإناث وألزم رجال المدينة باسم العلم أن ينهضوا لبناء مدرسة للذكور، وعلق الأستاذ محمد الهادي الحسني على هذا الفعل بقوله: (إن الإمام الإبراهيمي وهو الأعلم بنفسية الشعب الجزائري والأخبر بطبعه تصرف كأبرع ما يكون التصرف، فلو جعل تلك الدار مدرسة للبنين والبنات لرفض بعض الناس في المدية إن لم يكونوا جميعا إرسال بناتهم إلى مدرسة مختلطة، ولو جعلها للبنين وطلب من الناس تأسيس مدرسة للبنات لما وجد لهم عزا و لقالوا في أنفسهم ما دمنا ضمنا مدرسة لأبنائنا فما حاجة البنات للعلم ضرره أكثر من نفعه بالنسبة إليهن)⁽³⁹⁾، كما عمل على دعوة أفراد المجتمع إلى ضرورة إرسال بناتهم إلى مدارس الجمعية من خلال الاتصال شخصا بالمواطنين أثناء جولاته في أنحاء الجزائر حاثا إياهم على إرسال بناتهم إلى مدرسة التربية والتعليم، كما كان يطلب من زملائه المعلمين القيام بذلك⁽⁴⁰⁾، ولم يتوقف ابن باديس على المساواة بينها وبين الذكر في التعليم القاعدي بل حاول أن يمجّنها حتى من فرص التعليم العالي، فأرسل رحمه الله إلى مديرة مدرسة جمعية دوحه الأدب السوروية رسالة يطلب منها قبول مجموعة من الطالبات في مدرستها جاء فيها (يسرك يا سيدتي أن تعرف أن بالجزائر نخضة أدبية تهذيبه تستمد حياتها من العروبة والإسلام غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والخلقي ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية

والتعليم الإسلامية بقسنطينة ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة " الرابطة العربية " رغبت أن أرسل بعض البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية).⁽⁴¹⁾

4.4 الإخاء: إن الإخاء بين أفراد المجتمع من القيم التي كان ابن باديس يرى أن الإسلام أولاها مكانة خاصة وجاء لإشاعتها بين الناس، وأن المجتمع لا يمكنه أن يحقق التواصل والأمان إلا من خلال الشعور بها، ولقد كانت وقائع السيرة المطهرة التي مثلت أهم روافد فكر ابن باديس ماثلة أمامه، يحدث بها تلاميذه في دروسه وكتاباتاته وخاصة في تفسيره لآيات القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ، فالإخاء الذي وقع بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة وغيرها من القصص التي كان ينقلها ابن باديس، شكّلت منطلق التصور للفكر الذي كان ينادي به، وقد كتب عن رحلاته وما كان يدور فيها من حديث مثلا: (كان الحديث في مجالسنا حيثما حللنا يدور على تحريض الناس على التأخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة مع جميع الأجناس المتساكنة في هذا الوطن)⁽⁴²⁾، وفي رحلته إلى مليانة وما دار بها كتب الشيخ (كانت الدروس كلها حثا على الفضائل وتنفيرا من الرذائل وبيانا لحقائق الدين التي بمعرفتها يكمل الإنسان في إسلامه وفي إنسانيته ودعوة للتوحيد والاتحاد والإحسان إلى جميع العباد وحثا على التآلف والتعاون مع جميع السكان على اختلاف الأجناس والأديان)⁽⁴³⁾، وعندما زار مدينة بسكرة وشاهد ما فيها من تأخي بين سكانها على اختلاف مذاهبهم الدينية كتب قائلا: (من أعظم ما يدخل السرور على قلب المسلم أن يرى إخوانه المسلمين يمثلون معنى الأخوة الإسلامية تمثيلا عمليا مثل ما شهدته ببسكرة من مالكيته وإباضيتها، فجماعتهم ورأيهم واحد وشورا هم في المصالح العامة واحدة وما تنطوي عليه القلوب لا بد أن يظهر على الأقوال والأعمال، فاهتداء السادة البسكريين مالكية وإباضية إلى تسمية مدرستهم بمدرسة الإخاء هو أثر مما تنطوي عليه قلوبهم من معنى الأخوة الصحيح التي ربطها بها الإسلام وتشاهد روح التضامن والتآخي بادية في إدارة المدرسة من الجانبين وفي التعليم بها كذلك وفي الأبناء المتعلمين من المالكية والإباضية المترجحين ببعضهم ليسبوا على ذلك التأخي والاتحاد)⁽⁴⁴⁾، وفي ذكره لعلاقة الجمعية بالأحزاب الأخرى كتب وإلى هذا فنحن نشكر ونعترف بالجميل لكل من يؤيدنا في سيرنا نصره للمظلوم ومقاومة وخدمة

للإنسانية في جميع أجناسها، وأزيد اليوم أن الجمعية لا توالي حزبا من الأحزاب ولا تعادي حزبا منها وإنما تنصر الحق والعدل والخير من أي ناحية كان وتقاوم الباطل والظلم والشر من أي جهة أتى (45)

ولقد كان ابن باديس ك ممارسة عملية لإقامة التأخي بين الناس يساهم في حل الكثير من الخلافات العائلية والمذهبية والسياسية، كمساهمته في حل الخلاف بين الإخوة الاباضية والمالكية حول الآذان في مدينة غرداية، والخلافات الحزبية في أم البواقي وتبسة وسوق أهراس ومدن العمالة الوهرانية (46)

5.4 التسامح والتعايش السلمي: إن تصور ابن باديس للتسامح والتعايش السلمي قائم على مفهوم معين للإسلام مزود بنظرة عقلية نقدية وقائم على الحرية والتقدم وحسن المخاطبة (47)، حيث يبين ابن باديس أن التسامح في الإسلام نظرية عقدية قررها الإسلام وهي شريعة دائمة، يقول الإمام رحمه الله إن الإسلام الذي قرر التسامح مع أهل الملل أصلا من أصوله تجد في ما يتلوه المسلمون من آياته ودعوته وأذكاره ما يقوي تمسكهم بذلك الأصل ويرسخه فيهم، ولأهمية التسامح والتعايش السلمي بين الناس في فكر ابن باديس جعله أصلا من أصول دعوته الإصلاحية، ومن البنود الذي تتضمن معنى التسامح اعتباره للإسلام ديناً للبشرية لا تسعد إلا به وذلك لأنه كما قال ابن باديس:

- يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين ويذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين.
- يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع البشر الأجناس والألوان.
- يفرض العدل فرضاً تاماً بين جميع الناس بلا أدنى تمييز.
- يدعو إلى الإحسان العام الذي يشمل كل البشر
- يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليلة من أي أحد على أي أحد من الناس.
- يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون. (48)

ولقد كان ابن باديس يركز على مجموعة أسس فكرية في تقريره لمبدأ التسامح هي:

- الأساس الأول: مجانية عقائد الكفر لا يستلزم الحقد على الكافرين وفي ذلك كتب يقول: قرر الإسلام محبة الإسلام في قلوب المسلمين وكره ما سواه ولكنه بين لهم أنه كره أن يحملهم على مجانية عقائد غير الإسلام وأعماله التي أبطلها الإسلام، دون أن يحملوا حقدا على مخالفينهم أو يسموهم بأذى من سب أو تحقر لهم أو لمعتقداتهم أو يكرهوهم على شيء من الدين.

- الأساس الثاني: اختلاف الأديان والنحل من مشيئة الله: يقول ابن باديس: لأجل أن يقتلع الإسلام جذور الحقد الديني والتعصب على المخالف من قلوب أتباعه ويزرع فيها التسامح عرفهم أن اختلاف الأمم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله وما كانت مشيئته إلا رحمة وصوابا، قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ المائدة الآية 48 وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يونس الآية 100.

- الأساس الثالث: تبيان المشارب والمدارك ضروري لنمو العمران: يقول ابن باديس وعرفهم بوجه الحكمة في الاختلاف وهي تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الإنسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فيما أوتيت من عقول وإراث وقوى وأعمال، فقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ المائدة الآية 48.

- الأساس الرابع: إقرار أديان المخالفين وكتبهم ومعابدهم: يقول ابن باديس: ثم أقر المخالفين على ما ينتحلون ويعتبرونه ديناً وسماه ديناً وحكم بأن يترك لهم فقال ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون، الآية 6، وأقر معابدهم وذكرها بما يقتضي وجوب احترامها بما يذكر فيها من اسم الله وقرنها بالمساجد تأكيداً لذلك الاحترام فقال ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ سورة الحج، الآية 40، وأقر كتبهم وأقر ما يعملونه من دينهم وسماه عملاً ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ سورة القصص، الآية 55، وأقر أحكامهم فيما بينهم ومنع من التعرض لهم إلا إذا جاءوا بطوعهم واختيارهم

محتكمين إلى الإسلام فقال ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ سورة المائدة، الآية 42.

- الأساس الخامس: تفويض الأمر إلى الله في مجارة المخالفين والحكم عليهم: يقول ابن باديس: فأنت ترى كيف أبقى لهم الإسلام كل كيانهم الديني وجميع مقوماته وأحاط دينهم بسياج من الاحترام بعدما عرف المسلمين أن ما هم عليه من تلك الأديان هو من مقتضى مشيئة الله وحكمته في صالح البشرية والعمران وأن الجزاء على ذلك إنما هو الله وحده يوم يرجع إليه العباد.

- الأساس السادس: التسامح في الإسلام دعاء وصلاة: يقول ابن باديس: ونحن نذكر هنا على سبيل المثال دعاء القنوت الذي يدعو به قسم عظيم من المسلمين في صلاة الصبح.

ومن أجل بناء وتنشئة المجتمع على قيم التسامح والتعايش السلمي كان ابن باديس يقوم

بما يلي:

- إشاعة المحبة بين الناس وجعلها أساسا لبناء العلاقات الاجتماعية: وفي ذلك كتب ابن باديس يقول: خير العلاقات بين الشعوب ما يركز على المحبة، وأن المحبة أفضل من الاستعمار والقوة في كسب الرزق، وأن المحبة أثمن ما في الوجود وإن حاجة البشر إليها أعظم من حاجتهم إلى كل ضروريات الحياة، فإنهم ما إذا توافرت لهم ضرورة الحياة وحاجياتها وكمالياتها ثم حرموا من المحبة عاشوا عيشة التقاطع، وكانوا على بعضهم شرا من الوحوش الكاسرة والحشرات السامة، وإذا رزقوا المحبة مع ما لا بد منه من لوازم الحياة عاشوا عيشة تواد وتعاون، وكانوا على بعضهم خير وبركة، فهم لعمر الحق لا توزن سعادتهم وشقاؤهم في هذه الحياة إلا بقدر ما بينهم من المحبة فازرعوا المحبة أيها المسؤولون⁽⁴⁹⁾، ولقد كان ابن باديس عند اختتام الدروس العلمية يذكر طلبته (ويزودهم بالوصايا النافعة فيذكرهم بما بينه وبينهم من رابطة الأبوة والبنوة، وما بينهم من رابطة الأخوة وما تقتضيه هذه الروابط من محبة مثمرة للأعمال الصالحة في الخدمة العامة ومن دوام اتصال للتعاون على الخير ومن تسامح بين الجميع ومن تناصح بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ويوصيهم بنشر ما تعلموه برفق ولطف وأن يكونوا مظاهر محبة ورحمة على ما قد يلقونه من جفوة من بعض الناس وأن لا يقابلوا ذلك إلا بالتسامح)⁽⁵⁰⁾، وفي خطابه بمناسبة

تأسس جمعية العلماء توجه إلى الحاضرين من العلماء قائلًا: (أيها السادة قد أنجزتم أمراً عظيماً وأسستم مستقبلاً عظيماً، ولقد جئتم من أنحاء القطر ملبيين داعي الاجتماع ناسين كل أسباب الافتراق، فبرهنتم على أن علماء الجزائر متصفون بما يجب أن يتصف به العالم الحقيقي الذي صار العلم له صفة روحية وحياة قلبية من سعة الصدر والتسامح ونسيان الفكر الخاص أمام الصالح العام، إن ما أسسنه لا يكفي فيه اجتماعنا هذا،.... وعلى كل واحد منا أن يكون داعية للجمعية بقوله وعمله وأن يكون ممثلاً لفكرتها في الاتفاق والتآخي ونشر الخير وأن يطرح كل واحد منا فكره الخاص عندما تجيء مصلحة الجمعية، حسبنا ما مضى، كفى ما تقاثلنا على الكلمات، فكلمة (فرق) ماتت بيننا، وما بقي إلا العمل على الوفاق والوئام لتبليغ غاية المرام)⁽⁵¹⁾، (إخواني إنني أراكم في علمكم واستقامة تفكيركم لم تتخبون لي لشخصي وإنما أردتم أن تشيروا بانتخابي إلى وصفين عرف بها أخوكم الضعيف هذا:.... الثاني أن هذا العبد له فكرة معروفة وهو لن يحيد عنها ولكنه يبلغها بالتي هي أحسن فمن قبلها فهو أخ في الله ومن ردها فهو أخ في الله فالأخوة في الله فوق ما يقبل وما يرد، فأردتم أن ترمزوا بانتخابي إلى هذا الأصل، وهو أن الاختلاف في الشيء الخاص لا يمس روح الاختلاف في الأمر العام فماذا تقولون؟ فأجابوا كلهم بالوفاق والاستحسان)⁽⁵²⁾.

وكان ابن باديس في رحلاته التي يجوب بها القطر الجزائري ينشر بين السكان قيم التسامح عن طريق الخطب والدروس، ومن ذلك ما أشار إليه في زيارته إلى مدينة مدينة الميالية بأنه دعاهم إلى وجوب التسامح بين أتباع المذاهب وأهل الطرق بين بعضهم بعضاً وبينهم وبين السلفيين وبين هؤلاء وعلماء الخلف فالكل متفق على الأصول العشرة التي لا يكون المؤمن مؤمناً إلا بها... فكلنا إخوة فتجادلنا بالعنف والقسوة والجفاء وتباغضنا وتقاطعنا وتنازنا بالألقاب ليس من الحكمة في شيء)⁽⁵³⁾، ويكتب ابن باديس عن هذه التنقلات على الشهاب وما كان يدور فيها (ما كنت أدعوهم في مجالسي إلا لتوحيد الله والتفقه في الدين والرجوع إلى الكتاب وسنة رسوله ورفع الأمية والجد في أسباب الحياة من فلاحه وتجارة وصناعة واعتبار الأخوة الإسلامية فوق كل مذهب وطريقة وجنس وبلد)⁽⁵⁴⁾، وعن زيارته قائلة مثلاً

كتب) إن القصد من الزيارة حث عامة هذه النواحي على التأخي والتعاون على الخير ونصرة المشاريع الإسلامية النافعة والتضامن في كل ما يهم المسلمين ونبذ كل خلاف ينسبهم روابط الأخوة الإسلامية التي جمعهم الله بها على الهدى والحق⁽⁵⁵⁾

- تربية النشء على النقد البناء الذي لا يمس الفرد في شخصيته، وإنما النقد يكون للأفكار والمشاريع التي يحملها هؤلاء الأفراد، لأن التعرض لخصائص أفراد المجتمع الشخصية من شأنه أن يزرع داخل المجتمع الحقد والتنافر ويضعف التضامن الاجتماعي، ولذلك أكد ابن باديس على هذا المبدأ بقوله: (في الهيئة الاجتماعية أشخاص تقدموا للأمة تولوا أو يريدون أن يتولوا قيادتها وتدير شؤونها [...]) ولهم صفات خاصة بأشخاصهم وشؤونهم في أنفسهم وأعمال في دائرتهم وحدهم و صفات بها يباشرون من شؤون الأمة ما يباشرون وأعمال تتعلق بأحوال العموم، فأما صفاتهم الشخصية وأعمالهم الخاصة فلا يجوز لنا أن نتعرض لها بشيء وأما صفاتهم وأعمالهم العمومية فهي التي نعرض لها وننقدها، فننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير⁽⁵⁶⁾.

- تربية النشء على وجوب احتمال الاختلاف وعدم نبذ المخالف: فكما كانت ابن باديس ينشئ تلاميذه على النقد البناء الذي يمس الأفكار دون الأشخاص فكذلك كان يركز على تربية تلاميذه على احتمال الاختلاف الذي يعود إلى الاختلاف الطبيعي الموجود بين البشر وقد قدم ابن باديس درسا واقعا لطلبته عند رده على فرحات عباس الذي أنكر وجود الأمة الجزائرية عندما كتب عنه (نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا في غير أحضاننا ينكروننا وربما من غير قصد تاريخنا ومقوماتنا [...]) وهو ممن له قيمة معتبرة عندنا⁽⁵⁷⁾، فرغم اختلاف ابن باديس معه وامتعاضه الشديد منه لم ينكر علي فرحات عباس:

- جنسيته وملته الجزائرية فقال من بين أبنائنا.

- يلتمس له العذر في أن ما وقع فيه كان نتيجة تعليمه الفرنسي.

- رغم الاختلاف معه في ما يعتقد يقر ابن باديس بقيمة فرحات عباس.

كما مثّلت قضية اختلاف ابن باديس مع شيخ الطريقة العلوية أكبر نموذج قدمه لابن باديس في ميدان احتمال الخلاف فبالرغم من الخلاف الكبير الذي كان حاصلًا بين الشيخين إلّا أنه (عندما زار ابن باديس مدينة مستغانم التي كان يوجد بها السيد ابن عليوة شيخ الطريقة العلوية الذي كان ابن باديس كتب فيه رسالة بيّنت صورا من البدعة التي رأى ابن باديس أن العلوية وقعت فيها، ولقد كان لتلك الرسالة أصداء تجاوزت حدود الوطن، إذ جاءه التقريظ من علماء مسلمين خارج الجزائر وكان المتوقع أن يتجنب ابن باديس في تلك الجولة لقاء المعني لما بينهما من خلاف، لكن ابن باديس لم يكتفي باللقاء فقط ولكنه أجاب الدعوة الاستضافة التي وجهها إليه ابن عليوة ودخل بيته وعاشا جوا من التصافي لا يكون إلا بين مسلمين يجمعها الإيمان⁽⁵⁸⁾.

ومن مواقفه التي تدل على تلك النفس الزكية الحليمة المتسامحة ما فعله مع المفتي ابن الموهوب الذي أمر أحد أتباعه أن يشوش على الشيخ، فجاء وأطبق الكتاب، وأطفأ الشموع، وكادت تقع فتنة بينه وبين الطلاب، ولكن ابن باديس هدأ طلابه، ومنعهم من أذيته وصرفهم، وكذلك موقفه مع الجاني الذي حاول قتله بتدبير من الفرقة العلوية، ولما جاءت النجدة إلى الشيخ منعهم من الفتك به، كما عفا عنه في المحكمة.⁽⁵⁹⁾

ولقد كان ابن باديس دائما يؤكد على ضرورة عدم جعل القليل مما يختلف فيه سببا في قطع الكثير مما تتفق عليه، وأن الاختلاف بين العقلاء لا بد أن يكون ولكن الضار والممنوع المنع البات هو أن يؤدي ذلك الاختلاف إلى الافتراق⁽⁶⁰⁾

- تربية النشء على نبذ التعصب الجنسي والديني: انطلاقا من كون جميع أفراد الإنسانية من أصل واحد كما يرى ابن باديس حسب الأصول الإسلامية التي يستمد منها فكره، عكس ما تنادي به النظريات الاستعمارية التي تخص الحضارة بجنس دون الآخر أو تصنف أجناسا بشرية في درجات دون أجناس أخرى، فقد دعا ابن باديس إلى "الحذر من التعصب الجنسي الممقوت فإنه أكبر علامة من علامات الممجية والانحطاط، كن أخا إنسانيا لكل جنس من أجناس البشر"⁽⁶¹⁾، كما كان يحذر أيضا من التعصب الديني، وقد أكد على هذا عندما أقامت إدارة

الاحتلال مؤتمرا مسيحيا في الجزائر بقوله: أنا لسنا مع الذين ينتقدون انعقاد المؤتمر في مدينة إسلامية وفي قطر إسلامي لولا إدماج فكرة سياسية في الفكر الدينية لان الإسلام الحنيف المتسامح لا يضره أن يعتقد بين أهله وذويه وفوق أرضه مؤتمر ديني كيفما كان حاله ⁽⁶²⁾، أما بالنسبة للجزائريين من أصحاب الدين الواحد فقد أكد ابن باديس على أن (المؤمن أخ المؤمن فكلنا إخوة فتجادلنا بالعنف والقسوة والجفاء وتباغضنا وتقاطعنا وتنازنا بالألقاب ليس من الحكمة في شيء). ⁽⁶³⁾ واعتبر ابن باديس الخلاف الذي يؤدي إلى الاختلاف كله شر، وشره ما كان في الدين وإن الشؤون الدينية إذا أخرجت على الاعتبار الدينية وتناولتها أيدي التعصب صارت إلى شر المصائر وكان من آثارها في الأمة الجفاء والتعدد ثم التشتت والاختلاف ثم الوهن والانحلال ⁽⁶⁴⁾

5. خاتمة:

لقد استطاع الإمام عبد الحميد ابن باديس من خلال المواءمة بين الأفكار والقيم التي كان ينادي بها، والممارسات العملية التي كان يقوم بها كتعبير على هذه القيم، أن يؤثر في الكثيرين من الذين عايشوه وخاصة أولئك التلاميذ الذين كانوا ملتفين حوله، مما جعلهم يكملون مسيرته التي بدأها بعد وفاته، ويخرج منهم جيلا يساهم في معركة البناء بعد الاستقلال. إن ابن باديس كان يعتقد أن القيم التي تنشدها الإنسانية إنما هي قيم إسلامية بالأساس، ولذلك وجب الدعوة إليها وإشاعتها بين الناس على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ولغاتهم وأديانهم، إن هذا التصور الديني للقيم الإنسانية جعل ابن باديس يختلف عن المفكرين والفلاسفة الغربيين، الذين كانوا يعبرون عن هذه القيم فقط إذا تعلق الأمر ببلداتهم وشعوبهم، وهو ما يفسر مباركة العديد منهم للاستعمار الذي كانت تقوم به بلدانهم لاستعباد البلدان الأخرى.

وإن الدعوة اليوم ملحة أكثر من أي وقت مضى من أجل الاستفادة من هذا التراث الفكري الخصب والمجهود العملي الرصين في التأسيس لمنظومة قيم تحكم وتضبط شكل العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري، خاصة وأن التجربة نابعة من واقع هذا المجتمع

ومركزة في بنائها على أصوله ومقوماته، وهو ما من شأنه أن يجنب هذا المجتمع مختلف الصراعات والخلافات الحزبية والمذهبية وحتى الإثنية التي أصبحت تعكر السماء المجتمع الجزائري ومهددا صريحا لوحدة الوطنية.

5. قائمة المراجع:

- ¹ - بوعلام وناس: الأخلاق عند عبد الحميد بن باديس بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1988/1987، ص 15.
- ² - مركز البحوث والدراسات: التجربة الدعوية عند عبد الحميد بن باديس، منشورات مجلة البيان، الرياض، 1354هـ، ص 82.
- ³ - عثمان مُجَد فتحي: دعوة الإصلاح الإسلامي بين الشيخ بن باديس في الجزائر والدعاة المعاصرين في المشرق العربي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد 4، جامعة الإمام مُجَد بن سعود، ص 449.
- ⁴ - زهير على النحاس: مفهوم العروة والإسلام عند ابن باديس، مجلة آداب الرافدين، العدد 53، ص 9.
- ⁵ - زهير على النحاس، مرجع سابق، ص 9.
- ⁶ - نفس المرجع، ص 317.
- ⁷ - بوعلام وناس، مرجع سابق، ص 20.
- ⁸ - صالح فركوس: خصائص العلامة بن باديس الإصلاحية وتراثه التربوي في الجزائر، المجلة الجامعية، العدد 10، جامعة قلمة، ص 184.
- ⁹ - ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج 5، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1991، ص 47.
- ¹⁰ - نفس المرجع، ص 140.
- ¹¹ - نفس المرجع، ص 61.
- ¹² - بن خليفة مالك: الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس، دار طليطلة، الجزائر، 2010، ص 216.
- ¹³ - الشهاب ج 3، 12 ربيع الأول 1355هـ/جوان 1936م.
- ¹⁴ - ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج 4، مرجع سابق، ص 44.
- ¹⁵ - نفس المرجع، ص 176.
- ¹⁶ - ابن باديس: تفسير ابن باديس، المجلد الأول، جمع أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للقرآن الكريم، الجزائر، 2003، ص 230.

- 17 - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص371.
- 18 - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص73.
- 19 - نفس المرجع، ص114.
- 20 - نفس المرجع، ص84.
- 21 - أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت)، ص256.
- 22 - نفس المرجع، ص178.
- 23 - ابن باديس: الآثار، ج4، مرجع سابق، ص37.
- 24 - محمد البشير الإبراهيمي: الآثار، ج2، مرجع سابق، ص371.
- 25 - سورة الإسراء الآية 31-33.
- 26 - ابن باديس: تفسير ابن باديس، مرجع سابق، ص238.
- 27 - جيلالي قوادي: الاستنباط عند الإمام ابن باديس في تفسيره مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة جامعة ام القرى 1435/1436، ص235.
- 28 - ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، مرجع سابق، ص43.
- 29 - نفس المرجع، ص164.
- 30 - نفس المرجع، ص225.
- 31 - نفس المرجع، ص149.
- 32 - نفس المرجع، ص321.
- 33 - نفس المرجع، ص312.
- 34 - ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج5، مرجع سابق، ص66.
- 35 - نفس المرجع، ص144.
- 36 - نفس المرجع، ص216.
- 37 - نفس المرجع ص98.
- 38 - ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، مرجع سابق، ص54.
- 39 - محمد الهادي الحسني: الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء، مجلة الموافقات، العدد4، السنة4، محرم1416/جوان1995، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، ص560.
- 40 - محمد الصالح رمضان: ابن باديس والمرأة، مجلة لمحات، العدد3، السنة2، الجزائر، 1969، ص24.
- 41 - بن خليفة مالك، مرجع سابق، ص366.

- 42- ابن باديس، المرجع سابق ، ص243.
- 43- نفس المرجع، ص260
- 44- نفس المرجع، ص255
- 45- نفس المرجع، ص207
- 46- أنظر ما كتبه ابن باديس في الجزء الرابع من الآثار القسم المتعلق بالرحلات
- 47- الزواوي بغورة: الإسلام والتسامح وموقف الإمام عبد الحميد بن باديس، مؤسسة دراسات وأبحاث، الرباط، دت، ص8.
- 48- بن خليفة، مرجع سابق، ص231.
- 49- ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج5، مرجع سابق ، ص216.
- 50- ابن باديس: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، مرجع سابق ، ص98
- 51- نفس المرجع، ص158.
- 52- نفس المرجع، ص159.
- 53- نفس المرجع، ص223.
- 54- نفس المرجع، ص225.
- 55- نفس المرجع، ص220.
- 56- - مُجَدِّ الميلي: مرجع سابق، ص148.
- 57- الشهاب نوفمبر 1931
- 58- عشراقي سليمان: عبد الحميد ابن باديس، ج2، دار الغرب، وهران، 2010، ص49.
- 59- مركز البحوث والدراسات: التجربة الدعوية عند عبد الحميد بن باديس، منشورات مجلة البيان، الرياض، 1354هـ، ص69.
- 60- ابن باديس: الآثار، ج4، مرجع سابق، ص246.
- 61- مُجَدِّ الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2012، ص150.
- 62- الشهاب: عدد ماي 1939.
- 63- ابن باديس: المرجع السابق، ص223.
- 64- نفس المرجع، ص68.